

الجانب الإنساني لحركة الأنبياء



قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (إبراهيم/ 1).

لا شك أن الدين الإلهي هو السبب الوحيد لسعادة الإنسان، والمصلح لأمر حياته، يصلح الفطرة بالفطرة، ويعدل قواها المختلفة عند طغيانها، وينظم للإنسان سلك حياته الدنيوية والأخرية، والمادية والمعنوية، ولذلك بعث الأنبياء وواتر رسله تكريماً لإنسانية الإنسان واحتراماً لمقامه الشامخ الذي أراده له، فالأنبياء (عليهم السلام) جعلوا الإنسان نصب أعينهم وعملوا على تجسيد الإنسان الكامل في سلوكهم ليكونوا أسوة للناس وقودة لهم.

1- التكامل: قال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا سِخْرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِتَجْعَلُوا وَجْهَهُ قَرِيبًا لِمَنْ لَا يُجِدُ نَجْيًا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (الأنعام/ 91).

2- إنقاذ الإنسان من ولاية الطواغيت: قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ) (النحل/ 36).

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبِشْرَى فِي شَرِّ عِبَادِي) (الزمر/ 17).

وعن عليّ (ع): "إنَّ تبارك وتعالى بعث محمدًا (ص) بالحق ليخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته، ومن عهود عباده إلى عهوده، ومن طاعة عباده إلى طاعته، ومن ولاية عباده إلى ولايته".

3- تعليم الكتاب والحكمة: قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَافْرِيضًا (الجمعة / 2).

وقال تعالى: (رَبَّنَا وَإِنَّا لَمِنَ الَّذِينَ يَنفِرُونَ مِنَّا فِي سُبُحَاتِهِمْ وَإِنَّا لَمِنَ الَّذِينَ يَنفِرُونَ مِنَّا فِي مَجَارِبِهِمْ وَإِنَّا لَمِنَ الَّذِينَ يَنفِرُونَ مِنَّا فِي مَجَارِبِهِمْ) (البقرة / 129).

4- تزكية الأخلاق: قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) (الجمعة / 2).

وقال تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة / 129).

وعن رسول الله (ص): "بُعِثْتُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِهَا". وعنه (ص): "بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ".

5- إخراج الناس من الظلمات إلى النور: قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم / 5).

وقال تعالى: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المائدة / 16).

وعن الإمام علي (ع): "إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عِبَادًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ... فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى... مصباح ظلمات، كشاف عشوات (غشوات)، مفتاح مبهمات، دافع معضلات، دليل فلوات".

6- قيام الناس بالقسط: قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحديد / 25).

وعن الإمام علي (ع) - في صفة الله سبحانه -: "الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه".

7- وضع الإصر والأغلال: قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (الأنعام / 157).

وفي التفسير: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) أي الأمور التي تثبِّطهم وتقيِّدُهم عن الخيرات، وعن الوصول إلى الثوابات، والأغلال جمع غُلٍّ، وهو ما يقيِّد به...

8- الهداية إلى سبيل السلام: قال تعالى: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المائدة / 16).

والضمير في قوله: "به" للآلة، عائد إلى الكتاب أو إلى النور سواء أريد به النبي (ص) أو القرآن.

وقد قيَّد تعالى قوله: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ) بقوله: (مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) ويؤول إلى اشتراط فعلية الهداية الإلهية باتباع رضوانه، فالمراد بالهداية هو الإيصال إلى المطلوب، وهو أن يورده الله تعالى سبيلاً من سبيل السلام أو جميع السبيل أو أكثرها واحداً بعد آخر. وقد أطلق تعالى السلام، فهو السلامة والتخلُّص من كلِّ شقاء يختلُّ به أمر سعادة الحياة في دنيا أو آخرة. وقد نفى الله سبحانه عنهم هدايته وآيسهم من نيل هذه الكرامة الإلهية بقوله: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة / 19).

9- إتمام الحجّة: قال تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيُنذِرَ لِّلنَّاسِ عِلَّاى اللّٰهَ حُجَّةً ۖ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء / 165).

فعن الإمام علي (ع): "بعثَ ا﷑ رسله بما خصَّهم به من وحيه، وجعلهم حجَّةً له على خلقه، لئلا تجبَ الحجَّة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق".

وعن الإمام الصادق (ع) -لما سُئل عن فلسفة النبوة-: "لئلا يكون للناس على ا﷑ حجَّةٌ من بعد الرسل، ولئلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، ولتكون حجَّة ا﷑ عليهم".

وعن رسول ا﷑ (ص): "بعثَ إليهم الرسل لتكون له الحجَّةُ البالغةُ على خلقه، ويكونَ رسله إليهم شهداء عليهم، وابتعث فيهم النبيين مبشِّرين ومنذرين ليهلك مَن هلك عن بينة، ويحيى مَن حي عن بينة...". ▶